

الاستاذ

الجزء الثامن عشر من السنة الاولى

يوم الثلاثاء ٠ جمادى الثانية سنة ١٣١٠ و ١٢ كيك سنة ١٦٠٩

الموافق ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٩٢

أَتَقَلَّبُ الْأُمَّ بِتَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ وَنَحْنُ نَحْنُ

نعم . فان شجر العداوة والحسد مغروس في قلوبنا يسقى بماء الحقد وكلما جف احتكت جذوعه فالتهب نيرانه وبات كل شرقي بصظلي بنار اخيه المشتعلة باجزاء ذاته التي يظن انها تشفي غيظه وتريجه باحراق من يراه مثيلاً يدافعه او قريناً يساويه في الرتبة وما احترقت الاعضاء الهيئة الاجتماعية ولا عدت الادعاء الوطنية والملك . فنحن في انتظار هلاك بعضنا ننتظر خراب ديارنا وضياع اوطاننا واهمين ان ما حصل لزيد انما هو انتقام منه لعبيد وما نكب به عمرو وسيلة لرفعة خالد فالجار يتربح موت جاره مع علمه انه غير وارثه والابن ينتظر موت ابيه مع كونه واسطة وجوده والرؤوس يرى موت رئيسه مع انه حجاب بينه وبين الضياع والمجموع يمقت بعضه بعضاً وكل ذي لب لا شاغل له الا الفكر في سوء ادارة زيد وعدم انتظام سير عبيد وقعود همة فلان وغفلة فلان وما دري كل منا انه فرد من الافراد الذين وجه اليهم اللوم وخصهم

بالتبكيك فهو يذم نفسه ويعيبها بما هو فيها فانه مرآة أخيه فما ترى له في
 ذات أخيه فهو في ذاته ولكن انحدارنا مع تيار التفاخر بالالوهام وحظ
 بعضنا على بعض واستواء جاهلنا وعالمنا وعظيمنا وحقيرنا في خداع كل
 صاحبه ومنافقة رفيقه بقدر حاجته وامتلاء القلوب بتمني زوال نعم بعضنا
 ابعدا عن شاطئ المصلحة الشرقية فنحن غرقى اوها منا التي نظنها علما وفضلاً
 وحكمة ونبلا ننتظر ريحياً ينشلنا او شرقة نقتلنا فننزل الى قاع بحر الضياع
 طعمة لحيوان او رجوعاً الى العدم . ولا يتعجب من معترض بالظن في هذه
 الافكار قبل ان يتأمل فيها فما زرع هذه الضغائن الا سرعة الاعتراض
 بغير حق وتصدي هذا لتزييف كلام ذاك ودعوى فلان انه اعلم من
 فلان وتسلط شرقي على أخيه لتنمو ثروة غربي او تعلو كلمته . فهذه اجناسنا
 الشرقية لم تجتمع للاقامة في اقليم اجتماعها في مصر وقد اختلفت مقاصد
 الوافدين والنازحين في اسباب اعمالهم واتحدت وجهتهم في التماس الرزق
 او التدرج الى تملك ما بيد المصري من عقار ومزارع ولكنها لم تحسن
 المعاملة مع بعضها واتخذت المغالبة على سلب حقوق المصري وسائل
 لمقاصدها فالتاجر التزم الغش والخيانة والكذب والخداع تحايلاً على رواج
 تجارته الرديئة . والمرابي اتخذ الخيانة والغدر والتزوير طريقة لنزع ما بيد
 المصري من اثاث وعقار فابتدأ امره بدراهم معدودة وانتهى بتحايله الى
 قناطير منضودة وقد التزم طرق الخيلة فهو وطني مالان معه حاكم وطني
 وساعده على نهب الفلاح وتفايسه واجنبي ان ظهر غشه وغدره يحتمل لسلب
 الفلاح بالمحاكم الاجنبية التي لا يدري الفلاح شيئاً من اصولها . والمستخدم في

الحكومة تعصب لجنسه فاجتهد في ابعاد المصريين عن الوظائف الاميرية ووضع
وطنية مكانه حتى اقل بيوتاً كثيرة وافقرا غنياً بقطع مواد الثروة عنهم . ثم تميز
كل جنس من النزلاء في نقطة سكوناً واستيطاناً ليعود عن المصري ويستقل
مع جنسيته بخصائص المجامع التجارية والادبية والافكار الادارية والدولية
واتخذ كل فريق مجمع له او انس خادمه وصاحبه ومديره من جنسيته حتى
لا ينتفع المصري بشيء من الغرباء . ثم اجتمعت كلمة النزلاء على ذم المصري
وتقبيح اعماله واقواله واظهار خفاياه الى من يهم الاطلاع على عوراته التي
يرونها باباً للدخول في بلاده او سلب ما بيده . وهذه الاعمال كانت سبباً
في غرس الضغائن بين المصري وبعض نزلاء بلاده اذ لا يتصور ان انساناً يتغلب
على قوت انسان ومظهره واثاته وعقاره ثم يرى انه بعد ذلك يحبه او يحمده
فان رأى منه ميلاً او محبةً فان ذلك نفاق يداري به بعضهم بعضاً ويثقي به
كل منهم شر الآخرولهذا ترى النزلاء لخوفهم على ما بأيديهم من التجارة
والاعمال يظهرون التجنس بغير الجنسية الشرقية وبعدهم ونفسهم من الغربيين
ليشتركوا معهم فيما يسمحون لهم به من الاعمال . ولا يلام غربي على تداخله
في شؤون الشرق واهله فان ذلك من اطماع الملوك في كل زمن وانما نلوم
الشرقيين على تعاميمهم عن مصلحة بلادهم وانصرافهم عنها بالاشتغال
بصالح الغربي فان من داخل الاجناس الشرقية القاطنة بمصر ورأى تفرق
الاهواء حول المنفعة الذاتية وكراهة كل جنس لمثله وتقبيح كل فريق عمل الآخر
وسعي كل طائفة في اذلال الاخرى مع غفلة المجموع عن ثمره الاجتماع الشرقي
ونتائج قلع الاحقاد وتصاميمهم عن سماع الدعوة الى توحيد الوجهة والسير وذهمهم

كل من دل على فضيلة او حذر من رذيلة وتعصبهم على كل نابغ منهم زاعمين ان ما هم فيه هو ثمرة المعارف ونتيجة العلوم واهمين ان الفضل في قلب الحقائق وجعل الباطل حقاً والخطأ صواباً علم ان الشرق انما اضاءه اهلها وافقره بنوه واذله نبهاؤه . ومن رأى النقاط الحاصل بين ذوات المصريين الأول وبين القائمين بالاحكام الآن وتمدح الفريق الثاني برأيه وتدبيره وذم السابقين بالجهالة والخشونة وكراهة الفريق الاول لما هو حاصل من الثاني ثم رأى تباعد العلماء عن مجالس الامراء والنبهاء ونفورهم من المحدثات من غير رد قولي او معارضة فعلية وحط بعض الناس عليهم بنسبتهم الى امورهم براءة منها ثم رأى تميز افرقاء الامة الى هذه الاقسام وتوزيع الالهواء حول تلك الغايات الوهمية ايقن ان الوهن تمكن من معاشر المصريين خصوصاً والشرقيين عموماً بتخاذلنا ونقاطعنا وصار وصول الغرباء الى مقاصدهم اسهل من تناول الماء من عين تجري على وجه الارض فلو ابدل الذوات والامراء والعلماء والنبهاء السابق منهم واللاحق هذه المنازعات والمطاعن الافتراضية بتوحيد كلمتهم وتخللوا مجامع بعضهم متذاكرين ومتشاورين وعقدوا عزائمهم على مقابلة تلك العصبية بعصبية مصرية او شرقية لها من فضائل الاجناس ما غيرها واخذوا في اصلاح ما بيدهم من الاعمال والادارات باتفاق الآراء وتدبير شؤونهم الخاصة والتزام الاقتصاد وحسن السير لنظرتهم اوروبا بعين الاعتبار والاجلال وامكانهم ان يحافظوا على ما بقي من موجبات الشرف وحياة الوطنية والجنسية . والا فاحظ البلاد من عظماء يجنحون للمسامرة بما ليس فيه فائدة للبلاد وشيوخ كل حديثهم ذم الشبان وما هم فيه من الاسترسال خلف الشهوات من غير ان يبينوا لهم طرق

الهداية وسبل الاعتدال . وشبانٍ بصرفون اوقاتهم في معاقررة الراح ومنادمة الصباح والتزلف الاجنبي بصرف مياه الوجه والحياة والشرف والثروة . وما فائدة البلاد من غوغاء بيتون سكارى ويصبحون حيارى وقد اشتغل عنهم العظام بالفكاهات والتياترات وحسن المسامرة واعرض عنهم العلماء وتركوهم في غيهم يرحون بلا وعظ ولا تحذير اكتفاءً بمعرفتهم ان ما يفعلونه ضلال وبهتان واحتقرهم الشبان النبهاء فابعدوهم او بعدوا عن مجالسهم وخاللوا النزلاء وخالطوا الغرباء . غاض والله الدمع وصرنا نعيّر بالبكاء الذي هو جهد النساء . كل ما نحن فيه معاشر الشرقيين خبل وهلاس ولا برّ لنا منه الا بمعرفة التركي حقّ العربي وفضله واعتراف العربي بمجد التركي وسيادته واتفاق السوري مع المصري وائتلاف الهندي باليمني واتحاد العراقي بالفارسي وارتباط التونسي بالمراكشي وتوجيه نظر المجموع وهمته الى ما يسمى شرقاً لا ما يسمى جنساً فان حاجتنا الى توحيد الكلمة حاجة الاعمى الى من يقطع به الصحراء

فُضُّ فُورِجِلٍ يَقُولُ لَا نَدْرِكُ هَذِهِ الْغَايَةَ إِلَّا بِثَوْرَةٍ نَبْدُ بِهَا جَمُوعَ النَّزْلَاءِ وَالْغُرَبَاءِ فَانَ النَّزِيلُ أَمَا شَرْقِيٌّ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِكُونِهِ أَخَاكَ وَأَمَا غَرْبِيٌّ تُعْرِفُ مِنْكَ حَسْنَ الْخُلُقِ وَوَثْقَ بِمَعَاهِدَاتِ حُكُومَتِكَ فَرَحِلْ إِلَيْكَ وَهُوَ مَوْقِنٌ بِالْأَمْنِ عَلَى حَيَاتِهِ وَعَرْضِهِ وَمَالِهِ . وَكَذَبَ رَجُلٌ يَقُولُ أَنَّ الْاسْتِظْلَالَ بِظِلِّ الْغَيْرِ حَيَاةٌ لِلْوَطَنِيَّةِ وَالْمَدْنِيَّةِ فَمَا يَرِيدُ أَنْ يَفْرُكَ كُلَّ مَخْلُوقٍ إِلَّا مِنَ الْإِسْرِ وَالْإِسْتِعْبَادِ . لَمْ نَقْمِ أَوْ رُوبَا عَلَى سَاقِ الْقُوَّةِ بَعْدَ الضَّعْفِ عَنِ النَّهْوِضِ إِلَّا بِالْحَصُولِ عَلَى الْقُوَى الثَّلَاثِ قُوَّةِ الْعِلْمِ وَقُوَّةِ الْمَالِ وَقُوَّةِ الْعَدَدِ وَنَحْنُ الْآنَ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْعِلْمِ فَإِذَا حَصَلْنَا جَاءَ مَنْ بَعَدَنَا فَعَظَّمَهُ الثَّرْوَةَ ثُمَّ يَأْتِي مَنْ بَعْدَهُ فَيَعِدُّ بِهَا الْعَدَدَ

ثم يأتي بعد هؤلاء من يقول للغربيين نحن وانتم . ولا نصل للقوة العلمية وفيينا من يقول العز في الخمول والسعادة في العزلة والفضل في الزهد في الدنيا والبعد عما في ايدي الناس فان من توكل على الله كفاه وهذا الفريق متغلل بين العامة يزعم انه من الهداة وهو من المضلين فلو كان من البصراء لطالع سيرة نبينا سيدنا ومولانا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وغزواته وفتش في سياسته السماوية والارضية ولأيقن انه كان اكثر منه توكل على الله تعالى وازهد في الدنيا وما في ايدي الناس ولم تقعد به همته العلية عن مزاولة الحروب بنفسه الشريفة وفصله قضايا الامة وجلوسه لتعليم الناس وسعيه في مصالحهم ومخاطبته الملوك والأقيال والامراء ومعاملته المسلم والمسيحي والموسوي بعدل لا يضمنه الآن احسن قانون ولا ينفذه اقوى سلطان فهوؤلاء بجهلهم سيرة نبينهم سوات لهم انفسهم انهم قائمون بارشاد الامة وهدايتها الى الطريق الحق وما دروا انهم اماتوا الهمم وصرخوا النفوس عن التعلق بحوافظ الدين والملك معاً . ومن هذا القبيل الذين دونوا دواوين الخطابة وجعلوها قاصرة على التزهيد في الدنيا والتعذير من المال وجمعه والفرار من المجمع والظهور والرضا بخشن العيش والصبر على الذل والهوان وتركوها للخطباء يخطبون بها يوم الجمعة حيث تجتمع الامة اجنءاء لا ينفق لامة اخرى فيدخل الرجل للصلاة وهو يفكر في عمل يصلحه وصناعة ينقنها وادارة يحسنها ومعيشة يوسعها ونظام يحفظه واخاء يحافظ عليه ووطن يسمي في وقاينه ومملك يدافع عنه وحق يطالب به ويخرج وقد ماتت همته وانصرف عن الافكار الجليلة بما غرسه الخطيب في فكره من قبح الدنيا وسوء

مصير المشتغلين بها . فلو تصدت اوروبا بالامانة هم المسلمون وصرفهم عن مجد الملك والدين والجنس وقطعت دهورا في اختراع طريق تصل به هذه الغاية ما اهدت الى ما فعله الخطباء . من تحويل الخطابة عن عهدنا النبوي الى ما قاله المتعلقون الى الملوك او الغافلون عن طرق الهداية واصلاح الامة . ونحن نستفتي هؤلاء المثبطين . اذا كانت الدنيا يحذر منها فلن خلقت واذا كان الاشتغال بها بهتاناً وضلالاً ولا يشتغل بها الا اعداء الله فلم نتألم من تسلط الغير علينا ووقوعنا في ايدي المتغلبين ونعد الرضا بذلك ذنباً ومعصية . كل هذا انصراف عما كان عليه السابقون فقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخاطب الناس بوقائع الحال وربما طراً عليه الامر في غير يوم الجمعة فيرقى المنبر ويخطب به الناس وجاء الخلفاء الراشدون على اثره فكان ابو بكر يخاطب باحوال اهل الردة وخروجهم من الاسلام ووجوب قتالهم وكان عمر يرتب جيوشه ويولي الامراء ويفرق الالوية ويعلم الاحكام وهو على المنبر وكان عثمان يخبر الناس بخراج البلاد واحوال الفاتحين وهو يخاطب وكان علي يذكر الحاصل بينه وبين الثائرين عليه ويعلم الاحكام ويوصي الحكام ويلقن التوحيد ويقص اخبار السابقين وهو على المنبر ولم نسمع ان هارون الرشيد خطب من ديوان اوان المأمون الفت له خطبة اوان مولاي ادريس جمع له العلماء كلاماً موزوناً مسجوعاً بل كان يخاطب كل خليفة وامير بما يراه صالحاً للامة وما ظراً عليه من وقائع الاحوال الداخلية والخارجية فعلى العلماء الافاضل ورجال الخطابة ان يغيروا هذه الطريقة ويخطبوا الناس بضروريات دينهم ودنياهم فانهم ان فعلوا ذلك وعلموا الناس الدين

والتجارة والملاحة والفلاحة والمعاملة والمخالطة وذكروا للعامة احوال ممالكهم
وما تحتاجه من العناية بها والسعي في حفظها ونبهوهم على الوقائع الحاصلة
في ممالك الغير تحريضاً على المجارة او تحذيراً من الوقوع فيها وحذروهم
من الفتنة والدخول فيها والهيجان والقرب منه وعلموا الناس الحقوق
الوطنية والمدنية وواجبات العمران ومقدماته واجتهدوا في ذلك اثروا في
النفوس تأثيراً غريباً وقادوا الامة الى التقدم بسرعة عجيبة وفعلوا في
النفوس والقلوب ما لا تفعله الجرائد واوامر الملوك والسلاطين فان الجرائد
لا يقرؤها الا العارفون بها وهم عدد قليل جداً بالنسبة الى سواد الامة الاعظم
وبأخذون ما فيها على انه وقائع احوال واما الخطبة فيسمعها الأُمي والقارىء
والعالم والجاهل ويأخذون كلماتها على انها ارشاد من واقف موقف النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يأمرهم وينهاهم فتأثيرها في النفوس يكون عظيماً
جداً لتعلقها بالدين وكأنا نرى يقول ان هذا دعاء للتعصب الديني
والدنيوي فتجيبه بان هذا امر ديني لا تتعرض الملوك اليه ولا تمنع منه لقيام
كل امة بامور دينها من غير معارضة خصوصاً في مصر او الشرق باجمعه فان
اصحاب الاديان ممتعون فيه بحرية لانما لها حرية الافكار في اوربا تشهد بذلك
الكنائس المشيدة والأجراس المرتفعة والهاكل الهندية والمعابد الاسرائيلية
ومدافن الامم المتغايرة جنساً ووطناً وديناً فلا يحصل في مصر او الشام او الاناطول
او بلاد العرب او الفرس او غيرها مثل ما حصل في نابولي ايام اقامة حضرة
الخدوي الاسبق بها حيث توفي سفيان اغا فاشترى له قطعة ارض ليدفن
فيها فلما حملوا نعشه صارت الصغار ترجمه بالظوب من كل ناحية فلم يتخلصوا

منهم الا بذكر المسيح امامه ولا مثل ما يحصل من ارسالهم كل مسلمات
 في اوروبا الى وطنه . ولقدمات تلميذ مصري بباريز فابي كل فريق
 دفنه في مقبره حتى اخذه بعض قسوس الكاثوليك فدفنه فقامت الجرائد
 تطنطن باسم ذاك الرجل مدحاً وثناءً على قبوله مسالماً في مرة طائفته
 لكون ذلك غريباً جداً عندهم . والشرقيون يقبلون ملايين من الاوروبيين
 في اراضيهم ولا يحمدون على شيء من ذلك كأن اهل الشرق خلقوا عبداً
 لاوروبا . فهذه الحرية التي تمتع بها الاوروبي في الشرق ليمتع الشرقيون
 كذلك باجراء عوائدهم واتخاذ طرق اصلاح النفوس وتهذيب الاخلاق
 وليس هذا من باب التعصب كما يزعم الدخلاء وانما هو من باب تربية الافكار
 التي تدعو اليها اوروبا وتريد ان نصل اليها باقامة جماعة منها بين ظهرانينا . وطريق
 اوصلتنا اليه اوروبا طريق مأمون والا كانت دعوتها اليه غشاً وخداعاً وهي
 لا ترضى ذلك ولا نقول به . على ان المسلمين الذين في غير مصر يجرون عاداتهم
 ولو لم تكن شرعية باية طريقة توصلهم اليها كاهل تونس عندما منع الحاكم
 الفرنسي ضرب مدفع الافطار ومدفع للسحور في بعض المدن وعال
 ذلك بزيادة المنصرف فالتزم القاضي بدفع قيمة البارود الذي يصرف في
 رمضان من استحقاقه واستمرت العادة وهي ليست من الدين في شيء فأولى
 ان نطالب انفسنا بما فيه صلاح حالنا واستقامة عامتنا . ولكن الخطبة
 خالية مما يوغر صدور الشرقيين من ذم وطني غايرهم ديناً فان في الايغار تفريق
 الكلمة التي نريد جمعها وبعثاً لتدخل الاوروبي بعلقة طلب الراحة لدينيه
 الشرقي كما هو جار في معاملة اوروبا بالملوك الشرق واپس من التهذيب ان ندم اوروبا

ونقبح اعمال اهلها وعوائدهم فان لكل امة خصائص الفتها وعادات لزمتهما وانما نذم الذين ارادوا تقليد اوروبا فاخذوا بما عليه الغوغاه والرعاة من التهلك في الخمر والقمار والفسوق وتركوا ما عليه ارباب الافكار ورجال المعارف من خدمة لامة والبلاد بما فيه المصالح والعمارية واذا علم العالمي وغيره ان الخطيب يخطب بوقائع الوقت ويبحث على ما يناسب الزمان والمكان هرعوا الى المساجد وكثر المصلون وعاد للمساجد من يختلفون في البيزحتى يخرج الناس من الصلاة . واني لا اعجب من اناس تركوا الصلاة كسلاً وتهاوناً وهم يرون اميرهم المفخم حفظه الله تعالى يؤدى اوقاته ويحضر الجماعات في المساجد منتظماً مع افراد الامة في صف من صفوف المسجد ويسمعون ان خليفتهم الاعظم يذهب الى المساجد ويصلي مع الامة فما بال هؤلاء الناس لا يقلدون ملوكهم ولا يستحيون من الله ولا من الناس . اأيرى احدكم انه حر الفكر اى لا يعترف بصحة دين كما يزعم كثير من دهاء اوروبا الذين اتخذوا مشدقتهم بهذه الاضاليل مصائد لضعفاء اليقين من اهل الشرق فان كان فيهم من يرى هذا فليقلد من اضله في فعله المدني فانه لا يتأخر يوم الاحد عن الكنيسة ولو لم يعتقدوها في زعمه لساوي بني جنسه ودينه فيما هم فيه ويجتمع معهم في روابط الاتحاد وتوحيد الكلمة ولا ينفر العامة من اصل بني عليه اساس الملك وحفظ به نظام العمران . ولسنا في زمن فترة حتى يكون هذا الكلام دعاءً لتجديد دين وانما نحن في زمن المشابهة والمماثلة ومجاراة الامم بعضها بعضاً وقد امتلأت المحافل والطرق برسائل الامر يكان واليسوعيين وفرقت حتى على المساهين في مصر والشام وبلاد العرب وعلى المجوس والبراهمة

في الهند والصين دعاء الدين وحثاً على الاخذ بالدين المسيحي وما نرى
جماعة من الاوروبيين سكنوا جهة في مصر واسكندرية او الشام الا وبنوا في
كل حارة كنيسة فهذه جهات الفجالة وشبرا والاسماعيلية والمطرية بها كثير
من الكنائس وما بني فيها مسجد لمسلم كأن المسلمين الساكنين بها ليسوا من
هذه الامة . فان قيل ان المساجد كثيرة وهم يذهبون اليها قلنا فلم يكتف
الاوروبي بالكنائس الاخرى ويذهب اليها والمجاعة تازمنا بتقليد اوروبا في
عملها فانها تعد ما نحن فيه همجية وما هي فيه مدنية فلم نتاخر عنها ونبقى في
همجيتنا المذمومة عندها . نرى ارتباط الاجناس مانعاً حصيلاً من تبديد
ثروتها واضعاف قوتها ونحن توزعت اهاوؤنا فتبددت قوانا الجامعة للعصبية
فلا نسمع من فلان الا ذم صاحبه ورميه بالعجز عن عمله وربما اردف هذا الذم
بالسعاية بل بالسعي في اندائه فنرى الظاهرين منا يصرفون وجاهتهم واعتبارهم
في اقبال بيوت اخوانهم ومساعدة الدخلاء والنزلاء بيدهم ولسانهم مع اننا
نرى الناس امامنا اذا اراد احدهم الاشتغال بعمل ساعده اخوانه وحسنوه
للناس وداروا بين العظماء او الوجهاء فحسنيين ومرغبين واذا خلا احدهم من
خدمة اجتمعوا وجدوا في رجوعه او دخوله في محل آخر واذا افلس احدهم
جمعوا له مالا وفتحوا له محلاً يستغله ونحن على عكس هذا كله وكلما زادت
معارفنا كلما زاد تقاطعنا اللهم الا بعض اناس ممن حنكتم التجارب ودعتهم
المشابهة الى البحث في المنافع الوطنية والدينية فانبعثت فيهم الحمية والغيرة فهم
اساتذة الوقت وعنوان كتاب الفضلاء وان لم يتصدوا للتدريس بالصورة المعتادة
بين الناس ولقد اثرت حركات اوروبا في الشرق وسرعة ثقلها في المظاهر الدينية

والديوية في معظم شيوخ هذا العصر وشبانته فتحركت فيهم وهم وغيره وحمية لم تكن تظن فيهم لو لم تقبج اوروبا سيرهم الديني والدينيوي فقابلوا بين نبيها عن التظاهر بالشعائر الدينية وبذها النفس والنفيس في حياة الدين والدعوة اليه ببث المرسلين وتكثير المعابد فتولدت فيهم روح المماثلة فاصبحوا يقولون وغدوا يفعلون . بين المصريين والشاميين والعرب رابطة اللغة والسلطة في الكل والدين في معظمهم والجنس في اغلبهم والمتاخمة التي تصير المجموع في حكم الوطن الواحد فلم نرى الهم مصروفة نحو التفريق واحداث النفرة بين هذه الامم المحتاجة الى الجامعة الشرقية ولو كانت الهم مصروفة جهة توحيد الكلمة والاختصاص بالمصالح الوطنية لكانوا سداً محكماً بين الشرق وبين المتهيبين للوثبة عليهم . ان كان النفور بسبب الدين فقد انتهى زمن الفتح ورسخت اقدام الاديان ورضى كل بدينه فالسعي في النفرة بسببه سعي لمصلحة اوروبا لا للشرقيين . وان كان بسبب الجنس فقد طال زمن الاخلاط والمعاشرة وكثر التوالد من المتغلبين من اجناس شتى على تلك الجهات حتى كدنا ان نوحدهم الجنس في سكانها . اللهم الا في البلاد العربية التي لا يدخلها الخليط . وان كان بسبب الوطن فقد علمنا احتياجنا لتأكيد الرابطة وتأليف النفوس وان كانت السلطة فكلنا اتباع سلطان واحدنا تمر بامرهنونته بنواهيهم . اللهم الا بعض اناس استمالتهم اوروبا فانتتموا اليها فهم اجانب منا وان تكلموا بلغتنا وسكنوا وطننا بل وان دانوا بديننا لانهم لا يقدرين على السعي في مصالح الشرق ولا ينطقون بكلمة فيها خير لاهله فانهم مقيدون بتعاليم الدول المنحازين اليها قياماً بحق نعمتها عليهم . ولا يضرنا

هذا الفريق اذا فتشنا جموعنا واخرجنا الفريق الزائف من سبيكة المجموع
الشرقي واخذنا في التواد الجسعي والتواصل القلبي حتى نرى المصريين من
مسلمين واقباط واسرائيليين والشاميين والترك والعرب والمجرس والارنووط
والفرس والهنود والافغانيين وغيرهم تجمعهم المجالس للمذاكرة والمشاورة
والاتحاد على مشابهة اوروبا في تقدم العلوم والصنائع والاتفاق على وجهة
تجه اليها الافكار منها ثقلبت صور الحوادث ليكون لنا مبدئ معلوم ومشرب
محفوظ وغاية نسعى اليها فان اوروبا تحركنا كل وقت لهذا العمل وترميننا
بفساد الاخلاق وخور العزيمة وعدم الثبات على عمل وحبنا للمفاخرة بما لا فخر
فيه ولا شرف . وأم يدعوهم ما يرونه خصماً الى الطريق الذي سلكه حتى دخل
بلادهم وهم قاعدون عن السعي أم محتاجون لتخلل النبهاء مجالسهم وجوس العلماء
ديارهم وبذل الاغنياء اموالهم وصرف الامراء همهم حتى يتم تهذيب العامة ويعرف
كل انسان حده وحقوقه ويسعى كل شرقي في مصلحة بلاده ومنفعة اخوانه
مع المحافظة على الروابط التي ربطتنا باوروبا فقد دعت ضرورة التجارة
والسياحة وحفظ السلم بين الدول الى المعاهدات وتبادل الرحلة من والى
الشرق والغرب . ووحدة الانسانية رابطة كبرى بين جميع سكان الدنيا فلولم
يكن بين الامم من الروابط الا الصورة الانسانية لكفاها ولكانت اقوى
للروابط لحفظ نظام الدنيا العام ولكن ماحيلة الانسان فيمن يربونه على عداوة
مثله ويسقونه كأس البغضاء يوم فطامه من ثدي امه فيخرج منكراً على مثيله
صورته مدعياً ان غيره وحشي الطبع همجي السبروان الانسانية محصورة في
حشو جلده . وفي هذا الباب يحسن اسهاب ارباب الاقلام في حفظ الروابط

وتبيين طرق النقدم و تفسير قول عمر بن عبد العزيز تحدث للناس ا قضية بقدر ما يحدثون من الفجور وكفانا من الخمول والقعود في الزوايا وحط النبهاء بعضهم على بعض بغير فائدة تؤثر عنهم او طريقة تنسب اليهم وخوف الاغنياء من الاقدام على موارد الثروة واحتجاب العظاما عن الاوساط الذين يادلونهم المذاكرة تهدياً وتنويراً فهذا صوت ابنائنا بنادين في كل بلد شرقياً
اتقلب الامم بتقلب الاحوال ونحن ونحن نحن

﴿ العالم سيديو الفرنساوي الشهير ﴾

هذا العالم عند ما تضيع من العلوم اخذ يبحث في الأديان فما كان يسمع من خطباء اوروبا شيئاً عن الدين الاسلامي الا قول بعضهم ان جماعة من العرب دعتهم الفاقة الى اتخاذ قطع الطرق وسيلة لثروتهم فاتخذوا لهم رئيساً اسمه محمد بن عبدالله وساروا تحت رأيه واخذوا في مهاجمة الأمم ونهب البلاد فلما علت كلمتهم وسرى صوتهم في الاقطار ادعى قائدهم انه صاحب شريعة واخذ يضع لهم تعاليم دينية جمعهم عليها . فاذا ترك هذا الخطيب وذهب الى غيره سمعه يشتم المسلمين ويذمهم ويرميهم بفساد العقول وندم التبصر لأخذهم بهذا الدين ويرمي النبي صلى الله عليه وسلم بامور لم تصدر منه ولا تنسب لاقبل خلق الله عقلاً لينفر الناس من تصديقه والنظر في دينه فاذا ترك هذا سمع من غيره ان الدين الاسلامي "يحرم الجنة على النساء ولو عابدات ليصرف افكارهن" عنه وبصرف افكارهن تنصرف رجالهن لنفوذ كلمتهن عليهم فاذا تركه ونظر في مؤلفات علمائه وقساوسته رأيت خرافات